

إسهامات علماء مملكة غرناطة في النهضة العلمية في المشرق الإسلامي

**The Contributions of Granada Scientists
inthe Islamic Orient Scientific Renaissance**

عمر سي عبد القادر¹

جامعة تلمسان

6

ملخص: بعد ضعف الدولة الناصرية، وسقوط غرناطة، هاجر العديد من العلماء والفقهاء نحو اتجاهات مختلفة، وخاصة المشرق الإسلامي، وقد شارك هؤلاء في تنشيط الحركة العلمية في تلك البلدان، من خلال الوظائف التي مارسوها، وبالتالي فقد ساهموا في النهضة العلمية في المشرق الإسلامي.

كلمات مفتاحية: غرناطة، العلماء، المشرق الإسلامي، النهضة العلمية

Abstract: After the Nasrid State's weakness and the fall of Granada, many of the scientists and Mullahs emigrated to several places, especially to the Islamic orient. They have been involved in stimulating the scientific movement in these countries through the jobs they exerted, and thus contributing to the scientific renaissance at the Islamic Orient.

Keyword: Granada, scientists, Islamic orient, Scientificrenaissance.

¹ - اسم ولقب الباحث: د. عمر سي عبد القادر، جامعة تلمسان،

البريد الإلكتروني: Si62sh@yahoo.com

مقدمة

لقد شهد الأندلس نهضة علمية رائدة منذ أن استقر العرب الفاتحين بهذه المنطقة، وعبر المراحل التاريخية التي مر بها، سواء عندما كان تابعا لمركز الخلافة في المشرق أو عندما استقل عن الخلافة سياسيا في عهد الدولة الأموية، أو عندما أصبح تابعا لبلاد المغرب في عهد المرابطين والموحدين ورغم انهيار الدولة الموحدية وتقلص مساحة الوجود الإسلامي في الأندلس بسبب تجدد حركة الاسترداد، حيث تمكن النصارى من السيطرة على العديد من المدن، وهذا ما جعل المسلمون يكتفون بحكم بالركن الجنوبي الشرقي حيث مملكة بني الأحمر التي أسسها محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي.

ولكن هذا الواقع المرير والصعب الذي عان منه أهل الأندلس لا يفسر الواقع الثقافي والعلمي الذي كان على النقيض من ذلك، فقد عرف الأندلس نهضة علمية وثقافية كبيرة، فقد برز العديد من العلماء ورجال الثقافة في مختلف المجالات بل كان النبراس الذي اضاء باقي الحضارات العلمية الأخرى.

وقد ساهمت عوامل كثيرة في هذا التطور من أبرزها ، وراثته الرصيد الحضاري للمراحل السابقة خاصة في عهد الأمويين و المرابطين و الموحدين، حيث عرفت الحياة الثقافية نشاطا واسعا ،إضافة الى طبيعة أهل الأندلس المحبين للعلم و الحرصين على التميز في جوانبه المختلفة ،و من العوامل أيضا دور الحكام في تشجيع العلم وأهله من خلال توفير كل عوامل النجاح ، و إن كانت هذه الميزة في كل العهود التي مر بها الأندلس إلا أنها في عهد بني الأحمر كانت أكثر وضوحا رغم الأوضاع السياسية المزرية ، ومن مظاهر هذا الاهتمام استقدام الكثير من العلماء و تقربهم من مجالسهم بل وأصبح العلماء جزءا من اركان سياسة الدولة فهم الكتاب والسفراء والمستشارين ، كما اهتم أيضا الحكام بإنشاء العديد من المؤسسات التعليمية من مساجد و مدارس و مكتبات .

هذه الظروف أدت الى ظهور العديد من الحواضر العلمية والتي أصبح يقصدها الطلبة والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي وحتى من خارجه، ومن أبرز تلك المدن غرناطة ومالقة وألمرية وغيرها، وفي هذه الحواضر برزت نخبة من العلماء في مختلف أصناف

العلوم النقلية منها والعقلية، وقد ترك لنا هؤلاء تراثا حضاريا استفاد منه العديد من طلبة العلم في مغارب الأرض ومشارقها.

ونظرا للظروف السياسية الصعبة التي مر بها الأندلس و التي أدت الى تراجع رقعة الدولة الاسلامية تدريجيا بعد السقوط المتتالي للمدن الأندلسية، فقد رحل العديد من العلماء الى مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، منها بلاد المشرق الاسلامي والتي كانت أكثر أمنا و استقرارا من غيرها إضافة الى توفرها على الكثير من المراكز العلمية، كالقاهرة و دمشق و بغداد، ومما زادها أهمية احتواءها على الاماكن المقدسة في مكة و المدينة و بيت المقدس، و عادة ما كان طلبة العلم يجمعون في رحلتهم بين طلب العلم و أداء فريضة الحج و زيارة المراكز الدينية .

لقد ساهم علماء غرناطة مساهمة فعالة في مختلف الميادين في النهضة العلمية في بلاد المشرق، خاصة وأنهم وجدوا الظروف المواتية لإبراز مواهبهم العلمية والفنية، ومن الميادين التي برز فيها أهل الأندلس.

1 - في ميدان التدريس

بما أن عدد الأندلسيين الذين رحلوا الى بلاد المشرق لا يحصى كما قال المقرئ في كتابه نفح الطيب " أعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام¹ ولذلك سنحاول ذكر بعض النماذج من الذين كان لهم دورا بارزا في هذا الجانب، من العلماء والفقهاء الذين أفادوا الطلبة بعلمهم الغزير ومعرفتهم الواسعة لشتى العلوم، خاصة وأن الأندلس كانت قد شهدت نهضة علمية رائدة فتحوّلت مدنها مثل قرطبة وغرناطة الى مراكز علمية معروفة بعلمائها، ومن أبرز الأندلسيين الذين اشتغلوا بالتدريس في بلاد المشرق.

¹ - المقرئ أبو العباس، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج2، تح احسان عباس، دار صادر بيروت، ص6.

أبو عبد الله محمد بن سراققة الشاطبي، رحل في طلب العلم فزار بغداد وحلب وتولى مشيخة دار الحديث بحلب ومشيخة دار الحديث الكمالية بالقاهرة، توفي سنة 662هـ/1263م.¹

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ارتحل إلى الإسكندرية وزار دمشق كان مفتياً تولى التدريس بالرباط الناصري كما درّس بالفاضلية بمصر وكان شيخاً بالتربة الصالحية، توفي سنة 685هـ/1286م.²

الشاعر النحوي محمد بن عبد الله بن لب من أهل ألمرية رحل إلى المشرق واتخذ من القاهرة موطناً له تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ونال مكانة خاصة بين أهل العلم والصلاح حتى صار يُدعى بأبي عبد الله النحوي، توفي سنة 734هـ/1324م. فتح الدين بن سيد الناس الأندلسي الأصل رحل إلى مصر ودرس الحديث بالمدرسة الظاهرية، توفي بمصر سنة 734هـ/1333م.³

أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي البلنسي، أخذ عن أحمد بن مسعود الشاطبي الأزدي وكان إمام عصره في اللغة تصدر للتدريس بالقاهرة أخذ الناس عنه توفي سنة 684 هـ 1286م.⁴ أبو عبد الله محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الغرناطي يعرف بالراعي ولد بغرناطة وأخذ عن علمائها الفقه والعربية ثم رحل الى القاهرة وأخذ عن

²- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1 تح أحمد الارناؤوط وتركبي مصطفى، ط1 دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000م ص 167.

²- ابن القاضي المكتاسي، درة الحجال في اسماء الرجال، ج2 تح محمد الأحدي، ط1 دار التراث القاهرة 1970 م، ص244

³- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1 تح محمد ابو الفضل دار إحياء الكتب العربية 1968 م، ص 358.

⁴- ابن الحزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص 188. إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 134.

علمائها منهم بن حجر العسقلاني، دُرس بالقاهرة وانتفع به عدد كبير من الطلبة توفي سنة 53هـ/1449م.¹

كما استقطبت بلاد الشام أيضا عددا هائلا من علماء الأندلس الذين تولوا وظائف مختلفة كان أبرزها وظيفة التدريس ومنهم.

محمد بن عبد الله بن مالك الطائي أبو عبد الله صاحب التسهيل والألفية أخذ عن علماء الشام العربية والنحو فامتزجت لديه الثقافة الأندلسية بالمشرقية، كان على المذهب المالكي بالأندلس ثم تحوّل إلى الشافعية ببلاد الشام تولى التدريس بالمدرسة العادلية بدمشق، توفي سنة 672هـ/1273م

محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان الإمام العالم فخر الدين الشاطبي النحوي رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها ثم أقام بالشام وتحوّل إلى المذهب الحنفي وتولى التدريس بالمدرسة الإقبالية الحنفية بدمشق، توفي سنة 675هـ/1276م.²

زكي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز الإشبيلي المالكي محدث زاهد سمع بمصر ودمشق وحلب أفتى ودّرس وتولى مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق توفي سنة 687هـ/1288م.

محمد بن أبي بكر الوابلي جمال الدين الشريشي المالكي، ولد بشرش ثم رحل فسمع بالإسكندرية من أبي عمار الحراني، ودمشق وحلب وبغداد، أقام بالقاهرة مدة يفيد الناس وتخرج على يده جماعة كما ولي مسجد القدس وأقام بدمشق يفتي ويدّرس، كان

⁴- السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع. دار مكتبة الحياة بيروت ج9، ص 203. القلصادي أبو الحسن، الرحلة، تح محمد أبو الاجفان الشركة التونسية للتوزيع ص 27.

²- المقرئزي، المقفى الكبير تح محمد العلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت 1991 م، ج5، ص675.

متبحر في العربية والفقه صنف كتابا في الاشتقاق، وشرح ألفية بن معط توفي سنة 685هـ 1284م¹.

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج اللخمي الإشبيلي كان من كبار أئمة الحديث رحل إلى دمشق وتولى التدريس بالجامع الأموي وأخذ عنه خلق كثير، توفي سنة 699هـ/1299م².

كما تولى بعض الأندلسيين ببلاد المشرق الإمامة والخطبة ومنهم الفقيه محمد بن أحمد بن أبي الوليد بن أبي عمرو الذي هاجر إلى بلاد الشام واستقر بدمشق وتولى إمامة المالكية بالزاوية المالكية بالجامع الأموي، توفي سنة 747هـ/1342م..

إن دور علماء غرناطة لم يقتصر على مصر وبلاد الشام بل تعداه إلى أقاليم أخرى إسلامية كانت تابعة للدولة المملوكية ومنها بالدرجة الأولى الحجاز خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبارهما أماكن مقدسة، وكان الأندلسيون يقصدون هذه الأماكن للمجاورة، ونعني بها البقاء بجوار الحرمين الشريفين وكان أغلب هؤلاء من العلماء والطلبة وقد مارس بعضهم وظيفة التدريس والإمامة ومنهم أبو جعفر بن الزبير والفخري التوزري الفقيه الذي ناظر علماء مصر والحجاز استوطن المدينة المنورة حتى وفاته سنة 715هـ/1315م³.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بابن غصن الإشبيلي الإمام الزاهد المقرئ العارف بمتون الحديث وأحكامه أقرأ القرآن بمكة والمدينة، توفي سنة 723هـ/1323م

²- مس الدين الذهبي، دول الإسلام، تح حسن اسماعيل مروة ومحمود الارناؤوط، دار صادر بيروت 1999 ج2، ص 209. محمد بن الطيب القادري، الإكليل والتاج، في ذيل كفاية المحتاج دار الابحاث للترجمة والنشر الجزائر 2011م ص247

²- ابن جابر، برنامج الوادي آشي، تح محمد الحبيب الهيلة تونس 1981 م ص 116.

³- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج1، دار الجبل بيروت (دت، ج4، ص 96.

ومنهم أبو بكر محمد بن يوسف ابن مسدي المتوفى سنة 677هـ/1274م رحل إلى الحجاز وتولّى التدريس بمكة والمدينة وتخرج على يده عدد من الفقهاء منهم علي بن خليل المالكي، له كتابالبشارة بثواب الحج والزيارة، ومن الأندلسيين الذين درّسوا بالمسجد الحرام أبو عبد الله محمد بن غالب بن يونس الحيايى المتوفى سنة 702هـ/1301م وأبو بكر محمد بن حجاج أبو مطرف الإشبيلي والذي كانت له حلقة بالمسجد الحرام توفي سنة 704هـ/1302م¹.

2 - في ميدان القضاء

لم يقتصر دور الأندلسيين على التدريس والإمامة بل تعداه الى وظائف أخرى ذات قيمة سياسية واجتماعية ومنها القضاء، وخاصةً قضاة المالكية نظرا لان هؤلاء المهاجرين كانوا على المذهب المالكي المنتشر في بلاد الأندلس في عهد الدولة الأموية ومن الأندلسيين الذين مارسوا وظيفة القضاء في المشرق الإسلامي.

عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1426م صاحب ديوان العبر الذي رحل الى مصر وتولى منصب القضاء والتدريس بمصر سنة 786هـ/1384م².
أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الذي كان قاضيا للجماعة في كل من مالقة وغرناطة، ثم رحل بعد سقوط هذه الأخيرة لطلب النجدة واستقر بمصر وتولى القضاء المالكي سنة 896هـ.

إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هاني اللخمي الغرناطي، أخذ عن شيوخ غرناطة ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن ابن حيان بالقاهرة، ثم توجّه إلى الشام وأقام بمدينة حماة وتولى القضاء المالكي بها، توفي سنة 771هـ/1369م³.

¹ - حسن الوركالي، شيوخ العلم وكتب الدرس بسبته، منشورات جمعية البحث الاسلامي، تطوان المغرب 1984، ص 100.

² - السخاوي، الضوء الامع، المصدر السابق ج 4 ص 145.

³ - أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1997 م

محمد بن يحيى الأندلسي اللبسي، أخذ عن الحافظ بن حجر إمام علوم الفقه والنحو وأصول الدين تولى قضاء المالكية بحمّة وتوفي ببرسا من بلاد الروم سنة 884هـ/1487م.

شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي، سكن طرابلس الشام ثم رحل إلى حلب وأقام بها وتولى القضاء، كان عارفاً بالنحو والعروض توفي سنة 739هـ/1340م¹.

3 - في ميدان الطب

لقد اهتم الأندلسيون بالعلوم العقلية اهتماماً كبيراً وبرز منهم العديد من العلماء وخاصة في مجال الطب والصيدلة، وقد هاجر الكثير من هؤلاء الأطباء إلى المشرق وساهموا بشكل كبير في ازدهار العلوم الطبية بل وصل بعضهم إلى رئاسة المستشفيات ومنهم من عمل كمعتمد عند السلاطين ومن هؤلاء..

الطبيب عبد المنعم الجلياني الذي خدم صلاح الدين الأيوبي لفترة زمنية طويلة، ومن الأطباء الذين قدموا خدمة كبيرة للمجتمع المصري، الطبيب ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار الذي كان أواخر زمانه في معرفة النبات رحل إلى المغرب و المشرق، من مؤلفاته كتاب الجامع في الأدوية المفردة وله الأفعال الغريبة و الخواص العجيبة توفي بدمشق 646هـ 1248م²، و أبو تمام غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري من أبناء غرناطة رحل في شبابه إلى المشرق و عمل بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة، وأبو العباس أحمد المعروف بابن الرومية من أهل إشبيلية أتقن علم النبات ومعرفة الأدوية زار مصر وبلاد الشام و الحجاز و خدم بمصر الملك العادل أبا بكر³.

¹ - الصفدي، الوافي بالوفيات، المصدر السابق ج7، ص 9

² - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح عبد القادر الارناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار كثير بيروت 1986م، ج 1 ص134.

³ - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت (دت)، ص588.

ومن الأطباء، الرئيس أبو مروان موسى بن ميمون القرطبي اليهودي، الذي أسلم في المغرب وحفظ القرآن ثم رحل إلى مصر وخدم الملك الناصر صلاح الدين وولده الملك الأفضل علي، ومنهم الطبيب يوسف بن يحيى الذي تحول إلى تاجر طاف بالعراق والهند وفارس وجمع أموال طائلة خصصها لبناء مركز لتعليم الطب والمداواة.

إنّ دور الأندلسيين لم يقتصر على هذه الميادين بل تعدّت اهتماماتهم إلى مجالات أخرى، ففي مجال التصوف ونظرا لانتشار العديد من الطرق الصوفية في بلاد المشرق مثل الطريقة الشاذلية والقادرية والاحمدية والرفاعية، فقد فضل العديد من أهل التصوف الأندلسيين زيارة بلاد المشرق أو الاستقرار بها، ومن هؤلاء ابن سبعين من أهل مرسية رحل الى المشرق وحج عدة مرات وشاع ذكره ووصلت اخباره كما يقولون الى البابا في روما توفي سنة 669هـ/1270م.¹

وأبو الحسن الششتري صاحب كتاب "المقاليذ الوجودية في أسرار الصوفية" أخذ عن محي الدين بن سراققة الشاطبي توفي سنة 622هـ/1264م،² ومنهم كذلك أبا الحسن علي بن أحمد الحاراني الأندلسي من أعمال مرسية كان أعلم الناس بمذهب مالك من مؤلفاته "اللب المقفل على فهم القرآن المنزل" توفي في بلاد الشام سنة 637هـ/1235م، ومن رجال التصوف الذين رحلوا إلى المشرق وكان لهم آثار بارزة، الفقيه علي بن أحمد بن حديدة الأندلسي الذي أخذ التصوف عن علماء الأندلس ثم رحل إلى بجاية ومنها إلى المشرق وقد عمل على وعظ الناس وإقامة الزوايا في أماكن عديدة، توفي ببيت المقدس سنة 719هـ/1319م، و منهم محمد بن أحمد الأنصاري يعرف بالموافق من أهل غرناطة أخذ عن أبي الحسن البلوطي رحل الى المشرق حج و دخل بلاد الشام كان زاهدا صوفيا على

1- الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح محمد بن أبي شنب، ط1 دار البصائر الجزائر 2007 م ص40.

2- المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق ج2، ص185.

طريقة أبي الحسن الشاذلي من مؤلفاته " الانوار في المحاطبات و الأسرار " توفي سنة 750هـ/1349م.¹

كما كان لأهل الأندلس أيضا مشاركة في الجانب السياسي ومن الذين ساهموا في هذا المجال سلمان بن عبد الله بن يوسف الإيبيري ثم الحلبي الشافعي من أصدقاء ابن جابر وأبو جعفر الرعيني الغرناطي، أنظم في خدمة الوزير الجمال الاستادار والسلطان يلبغا الناصري المملوكي، ولما قبض على الوزير فر إلى اليمن وتوفي سنة 833هـ/1429م أما في الميدان العسكري فإن مساهمة الأندلسيين كانت كبيرة جدا، فقد شارك العديد منهم في محاربة النصارى من خلال الحملات الصليبية وحملات المغول، فقد شارك في جيش صلاح الدين الأيوبي أكثر من ثلاثة آلاف رجل من أهل المغرب والأندلس، أما في عهد المماليك فقد قاد حملة لفتح جزيرة قبرص في عهد الظاهر بيبرس قائد من أصول أندلسية وهو جمال الدين مكي بن حسون وذلك سنة 669هـ/1270م.

4 - في الميدان الفني والمعماري.

ومن جهة أخرى فقد ساهم بعض الفنانين في تطور الفنون في بلاد المشرق، ففي مجال الموشحات والأزجال والتي ظهرت في بلاد الأندلس وعرفت تطورا كبيرا، وقد انتقل هذا الفن الى بلاد المشرق ووجد بيئة مناسبة لانتشاره خاصة وأن المماليك في مصر كانوا من العجم وهم أقرب الى فهم الشعر العامي أكثر من الشعر الفصيح، وبالتالي كانوا يشجعون الرجالين والوشاحين، ومن أبرز هؤلاء، عثمان بن عيسى البلطي المؤرخ والشاعر من مؤلفاته كتاب العروض الكبير والعروض الصغير.² ومنهم السراج عمر بن مسعود الكناني الحلبي ومحمد بن الوكيل وعلاء الدين بن مقاتل الحموي وبدر الدين الزيتوني.³

¹ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، ج3 مكتبة الغانجي القاهرة 1973م ص 330.

² حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط1 المطبعة البوليسية، لبنان، 1990 م ص 215.

³ محمود رزق سليم. الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث. دار الكتاب العربي، مصر 1957م ص 88.

أما في مجال الغناء والموسيقى فقد كان للمشاركة دور بارز في تطور الموسيقى في الأندلس، وذلك بعد انتقال عدد من رجال الموسيقى والغناء إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وكان من أبرزهم "زرياب" الذي حل بالأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط حيث ساهم بشكل كبير في تطور الموسيقى خاصة بعد أن أسس مدرسة لتعليم الغناء ومعالجة الأصوات¹.

ومع التطور الحضاري الذي شهدته الأندلس وخاصة في مجال الفن والموسيقى وبعد أن هاجر العديد من الأندلسيين إلى بلاد المشرق فإن التأثير الأندلسي انتقل أيضا إلى المشرق خاصة وأنّ بين هؤلاء المهاجرين عددا من أهل الفن والموسيقى، ورغم أنهم لم يتخذوا من الموسيقى مصدرا للرزق إلا أنهم ساهموا في تطورها في البلاد التي حلوا بها، ومن هؤلاء الطبيب الأندلسي أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الحكيم والأديب من أهل ألمرية رحل إلى المشرق، وإلى جانب مهنته الطبية كان يعزف الموسيقى ويضرب على آلة العود، ومنهم أبا زكرياء يحيى بن إسماعيل البياسي رحل إلى المشرق وسكن دمشق كان عارفا بالموسيقى وتمكن من صنع آلة تسمى الأرغن كما اشتغل بتدريس علم الموسيقى².

إن بعد المسافة بين الأندلس وبلاد المشرق لم يمنع من وصول التأثير الأندلسي خاصة في مجال الموسيقى الأندلسية، هذا النوع انتشر في مناطق الحوض البحر المتوسط بما فيها بلاد المشرق الإسلامي والذي أخذ صبغة عالمية.

وفي مجال العمارة خاصة الدينية منها فقد انتقلت خصوصيات العمارة الأندلسية إلى المشرق عن طريق هؤلاء المهاجرين الذين كان هدفهم الزيادة في العلم أو زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج، أو الفرار بدينهم بعد سيطرة النصارى على مدنهم، كما كان للتجار الأندلسيين أيضا دور في نقل تلك الخصوصيات الأندلسية إلى بلاد المشرق الإسلامي من خلال رحلاتهم التجارية المتكررة.

¹ - المقرئ، نفع الطيب المصدر السابق، ج3، ص122.

² - علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة دمشق 1989م ص

وقد زادت التأثيرات الأندلسية في عهد المماليك بعد أن نشطت حركة الهجرة، والتي ضمت عددا من الحرفيين والمهندسين والفنانين، ونظرا لاهتمام سلاطين المماليك بالعمارة فقد استخدموا هؤلاء المهاجرين في البناء والزخرفة والصناعات المختلفة، مما ساعد على انتقال الخصائص المعمارية الأندلسية خاصة في مجال الزخرفة، ومن أهم التأثيرات الأندلسية في العمارة المملوكية العقود المنفوخة المتجاورة والعقود التوأمية في الواجهات والمآذن الموجودة في قبة فاطمة خاتون وضريح المنصور قلاوون وفي جامع جاي اليوسفي.¹ كما تظهر التأثيرات أيضا في القباب التي تظهر في جامع ابن طولون وكأنها منقولة من قرطبة وتظهر أكثر في الترميمات التي أجريت على هذا المسجد في العهد المملوكي، خاصة المئذنة وهي نفس الطابع للعقود القرطبية.

ومن مظاهر هذا التأثير مئذنة مدرسة المنصور قلاوون التي تحتوي على بعض العقود المتجاورة، وهي شبيهة بتلك الموجودة في مئذنة جامع إشبيلية وفي بعض مآذن الموحدين، ومن التأثيرات الأندلسية في المساجد المملوكية نوع من القباب قسمت القبة إلى تقاسيم هندسية متعددة تشعبت خطوطها من كل ركن من أركان القبة وهذا الشكل يظهر في قباب قرطبة وسرقسطة وطليطلة.² كما تظهر الزخارف الجصية الأندلسية في مئذنة الناصر محمد بن قلاوون وضريح الأميرين سلالر سنجر الجاولي.

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا الدور الكبير لعلماء غرناطة في بلاد المشرق حيث ساهم هؤلاء مساهمة كبيرة في الحياة العلمية، خاصة وأن الهجرة إلى المشرق ضمت فئات مختلفة من العلماء والطلاب والحرفيين وأصحاب المهن، وقد استقر هؤلاء في مدن مختلفة مما مكنهم من ترك بصماتهم في جميع الميادين التي اشتغلوا بها والمناطق التي حلوا بها، كما أن تولي الأندلسيين للوظائف الهامة في الجوانب السياسية والإدارية والعلمية، يدل من جهة على المستوى العلمي الراقي الذي تمتع به هؤلاء ومن جهة أخرى يدل كذلك على

¹ - عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، في الأندلس ج2 مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1986م 63

² - عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص 64.

التسامح والتعاون والتعاطف الذي كان يلقاه أهل الأندلس من إخوانهم في البلاد الإسلامية وخاصة في مصر وبلاد الشام، وذلك بسبب المحنة الصعبة التي كانوا يعانون منها بفعل التهديد والضغط المتواصل من طرف النصارى.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 ابن أبيكالصفدي، الوافي بالوفيات، ج1 تح أحمد الارناؤوط وتركبي مصطفى، ط1 دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000م.
- 2 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت (دت). 3 بن الحزري الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، دار الكتب العلمية بيروت 1971م.
- 4 ابن جابر، برنامج الوادي آشي، تح محمد الحبيب الهيلة تونس 1981 م.
- 5 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج1، دار الجبل بيروت (دت).
- 6 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1 تح عبد القادر الارناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار كثير بيروت 1986م.
- 7 ابن القاضي المكناسي، درة المجال في أسماء الرجال، ج2 تح محمد الأحدي، ط1 دار التراث القاهرة 1970 م.
- 8 ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، ج3 مكتبة الغانجي القاهرة 1973م.
- 9 إسماعيل البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ج2، دار إحياء التراث العربي بيروت 1951م.
- 10 المقريزي تقي الدين، المقفالكبير، ج5 تح محمد العلاوي، دار الغرب الاسلامي بيروت 1991م.
- 11 المقري أبو العباس، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج2، تح احسان عباس، دار صادر بيروت.

12 السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع ج 9، لأهل القرن التاسع. دار مكتبة الحياة بيروت.

13 السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج 1 تح محمد ابو الفضل دار إحياء الكتب العربية 1968م 14 القادري محمد بن الطيب، الإكليل والتاج، في ذيل كفاية المحتاج دار الابحاث للترجمة والنشر الجزائر 2011م

15 الفلصادي أبو الحسن، الرحلة، تح محمد أبو الاجفان الشركة التونسية للتوزيع.
16 الذهبيشمس الدين، دول الإسلام ج 2، تح حسن اسماعيل مروة ومحمود الارناؤوط، دار صادر بيروت 1999م.

17 الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح محمد بن أبي شنب، ط 1 دار البصائر الجزائر 2007 م.

المراجع:

1 أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1997.

2 أحمد علي، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة دمشق 1989م.

3 الوركالي حسن، شيوخ العلم وكتب الدرس بسبته، منشورات جمعية البحث الاسلامي، تطوان المغرب. 1984

4 محمود رزق سليم. الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث. دار الكتاب العربي، مصر 1957م.

5 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط 1 المطبعة البوليسية، لبنان، 1990 م.

6 سالمعبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة، في الأندلس ج 2 مؤسسة شباب الجامعة